

الدواء لكل وباء

تأليف
د. محمد هشام مرطاهري
أبو صلاح

إعتمدت عليه
إخلاء من وزير ابن الفخار طاهري
أبو عمر



حقوق الطب مع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م



المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي بيده ملكوت كل شيء، أحمده سبحانه خلق كل شيء وهدى، وجعل لكل أمرًا سببًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خالق الأسباب والمسببات، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خير البريات، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا إلى يوم تبدل الأرض والسموات.

أما بعد؛ فنظرًا لما يمر به العالم أجمع، والناس في العالم الإسلامي، والعربي، وأهل الكويت على وجه الخصوص، من ظهور وباء ما يسمى بـ **«كورونا»**؛ فإنه قد أشار عليّ بعض من لا يسعني إلا استجابته

أن أكتب شيئاً فيما يتعلق بالخطوات الشرعية لمثل هذه الأوبئة العصرية، التي عمت البلاد، وأخافت العباد؛ فكتبت هذه الرسالة بيانا للخطوات العملية لمكافحة وعلاج الأوبئة العصرية، وسميتها بـ: (الدواء لكل وباء).

والله تعالى أسأل أن يجعلها سبباً في صون المسلمين والمسلمات، وشفاء لكل المبتلين والمبتليات، وأن أوان الشروع في المقصود:



١- التوكل على الله

من أعظم الأدوية النافعة في مكافحة الأوبئة السارية، التوكل على الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الآية من سورة الأنفال].

قال العلامة ابن كثير **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (أَيُّ: يَعْتَمِدُ عَلَى جَنَابِهِ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أَيُّ: لَا يُضَامُ مِنَ التَّجَاؤِ إِلَيْهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ مَنِيْعُ الْجَنَابِ، عَظِيمُ السُّلْطَانِ، حَكِيمٌ فِي أَفْعَالِهِ، لَا يَضَعُهَا إِلَّا فِي مَوَاضِعِهَا).

[تفسير ابن كثير (٧٦/٤)]

وقال الله جلّ في علاه: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [سورة الزمر، من الآية: ٣٦]؛ فالؤمن مستيقن



بأن الله كافٍ عباده، وهو متولي أمرهم بربوبيته عليهم، سبحانه وتعالى.

ونلعلم أن التَّوَكُّلَ مَبْنِيٌّ عَلَى أَمْرَيْنِ عِنْدَ

أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهُمَا:

١- اتخاذ الأسباب الدنيوية المتاحة المباحة، فهذا من التوكل، كما قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْقِلْهَا، وَأَتَوَكَّلْ، أَوْ أُطْلِقْهَا، وَأَتَوَكَّلْ؟ قَالَ: «اعْقِلْهَا، وَتَوَكَّلْ».

[رواه الترمذي في سننه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع]

٢- اعتماد القلب على خالق الأسباب، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومما يزيد من هذا النوع من التعلق بالله، قراءة أذكار الصباح والمساء، والنوم، والأدعية المطلقة، ويزيد المؤمن تعلقاً بالله أن ملكوت السماوات والأرض

بيد الله تعالى، وأن كل شيء بتقديره، قال الله تعالى:
﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ
يَهْدِ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الآية من سورة التباين].

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (التوكل: اعتماد
القلب على الله تعالى، وذلك لا ينافي الأسباب،
ولا التسبب؛ فغالب التسبب ملازم التوكل؛ فإن
المعالج الحاذق يعمل ما ينبغي، ثم يتوكل على الله
في نجاحه، وكذلك الفلاح يحرث ويبذر، ثم يتوكل
على الله في نمائه، ونزول الغيث من السماء).

[الطب النبوي لابن طولون ص ٢٢٢]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (ظنّ
طائفة أنّ التوكل لا يحصل به جلب منفعة، ولا دفع
مَضَرَّة؛ بل كان مقدورا بدون التوكل؛ فهو مقدور

معه، ولكن التوكل عبادة، يُثَابُ عليها من جنس الرضا بالقضاء، وقول هؤلاء يشبه قول من قال: إن الدعاء لا يحصل به جلب منفعة، ولا دفع مضرة؛ بل هو عبادة يثاب عليها...، والجمهور أن المتوكل والداعي يحصل له من جلب المنفعة ودفع المضرة ما لا يحصل لغيره، والقرآن يدل على ذلك).

[الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/٢٧٦)]

وقال العلامة ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (تحقيق التوكل عليه، والتفويض إليه، والاعتراف له بأن ناصيته في يده، يصرفه كيف يشاء، وأنه ماض فيه حكمه، عدل فيه قضاؤه...)

وأن يرتع قلبه في رياض القرآن، ويجعله لقلبه كالربيع للحيوان، وأن يستضيء به في ظلمات الشبهات والشهوات، وأن يتسلى به عن كل فائت،



الدواء لكل وباء

ويتعزى به عن كل مصيبة، ويستشفى به من أدواء صدره، فيكون جلاء حزنه، وشفاء همه وغمه).

[الطب النبوي له (ص ١٤٩)]

وقال العلامة ابن مفلح **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (واعلم أنه يحصل بأعمال القلوب من التوكل على الله، والاعتماد عليه وغير ذلك من الشفاء ما لا يحصل بغيره؛ لأن النفس تقوى بذلك.

ومعلوم أن النفس متى قويت، وقويت الطبيعة، تعاوننا على فعل الداء، وأوجب ذلك زواله بالكلية، ومثل هذا معلوم مجرب مشهور، ولا ينكره إلا جاهل أو بعيد عن الله) [الآداب الشرعية (٣/ ١٢٤)].



٢- تقوى الله سبحانه وتعالى

إِنَّ مِنْ أَكْثَرِ الْأَسْبَابِ دَفْعًا لِلْأُوبَاءِ، وَجُنَّةً
لِلْأَدْوَاءِ: تقوى الله تعالى، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ
يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ
بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾.

[الآيتان من سورة الطلاق]

وقال الله جل في علاه: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
﴿١٣١﴾﴾ [الآية من سورة الصافات] قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:
(أَيُّ: هَكَذَا نَصْرَفُ عَمَّنْ أَطَاعَنَا الْمَكَارَةَ وَالشَّدَائِدَ،
وَنَجْعَلُ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ فَرْجًا وَمَخْرَجًا).

[تفسير ابن كثير (٣٠ / ٧)]

والمتقي يعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن؛ ويعلم أن ما يصيبه من لأواء الدنيا، وأوبائها، إنما هي بتقصير منه، سواء بتقصير في حق الله تعالى، أو في حق الآدميين، أو في تقصيره في الأخذ بالأسباب، واتخاذ المتاح من الأبواب.

وحينئذ إذا أصيب بمصيبة يعلم أنها بتقصيره؛ كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ۝۳۰ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝۳۱ ﴾ [الآيتان من سورة الشورى].

فلا يقول المتقي لماذا هذا؟ ولا يقول: كيف هذا؟ لأنه يعلم أن كل بلاء فتقصير، أو لرفعة، أو لامتحان؛ فيميز الله الخبيث من الطيب، وتظهر

المعادن من الناس، ويتجلى المؤمنون المعتصمون به سبحانه، من الكاذبين الملتجئين إلى غيره؛ فيزداد المؤمن حمداً لله تعالى، كما كان النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ فعَنْ عَائِشَةَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهَا** قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ»، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ» [رواه ابن ماجه في سننه، وحسنه الألباني].



٣- المحافظة على الصلاة

إن الصلاة من أعظم العبادات التي تقوي الإيمان، والنفس، والبدن؛ فينبغي على المسلم أن يحافظ عليها، وأن يداوم عليها؛ فإن المداومة عليها، والمحافظة عليها من أسباب الشفاء.

وقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجد فيها راحتته، وبها أنسه وفرحته، فعن عبد الله بن محمد ابن الحنفية، قال: انطلقتُ أنا وأبي إلى صَهْرٍ لنا من الأنصار نعوذُه، فحَضَرَتِ الصلاةُ، فقال لبعض أهله: يا جارية، اتوني بوضوءٍ، لَعَلِّي أَصَلِّي فَأَسْتَرِيحَ، قال: فأنكرنا ذلك عليه، فقال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «قُمْ يَا بِلَالُ، فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ».

[رواه أبو داود، وهو حديث صحيح]

٤- التوبة والإكثار من الاستغفار

لا ينزل ذنب إلا ببلاء، ولا يُرفع إلا بتوبة، ولا يكون تقصير إلا ينتج عنه الأمراض النفسية والبدنية؛ فالواجب محو ذلك بالتوبة والاستغفار، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمِئِعْكُمْ مَنَّاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [سورة هود، من الآية: ٣].

فالاستغفار سبب لكشف الكربات، ودفع الأوبئة والبلايات، ونزول الرحمات، ونيل التمتع بالعافية، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرْجًا، وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» [رواه الإمام أحمد في مسنده، وهو حديث صحيح].

وقال نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيَمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾.

[الآيات من سورة نوح]

وقال هودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

[الآية من سورة هود]

ومن أجمع صيغ الاستغفار: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ».

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الآية من سورة الأنفال]؛ فأكثرُوا عباد الله من الاستغفار، واجعلوا لها مجالس في خاصة أنفسكم، والهجوا بالاستغفار، وذلوا به ألسنتكم.

٥- الابتلاء سنة

قال الله تعالى: ﴿الْمَ ١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ
يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ
الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ [الآيات من سورة العنكبوت].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (فَمِنْ تَمَامِ
نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُنْزَلَ بِهِمْ مِنَ الشَّدَّةِ
وَالضَّرْرِ مَا يُلْجِئُهُمْ إِلَى تَوْحِيدِهِ فَيَدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ
الدِّينَ، وَيَرْجُوْنَهُ وَلَا يَرْجُونَ أَحَدًا سِوَاهُ، وَتَتَعَلَّقُ
قُلُوبُهُمْ بِهِ لَا بَغَيْرِهِ؛ فَيَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ،
وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَحَلَاوَةِ الْإِيمَانِ، وَذَوْقِ طَعْمِهِ،
وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الشَّرْكِ، مَا هُوَ أَعْظَمُ نِعْمَةً عَلَيْهِمْ مِنْ

زَوَالِ الْمَرَضِ وَالْخَوْفِ وَالْجَذْبِ، أَوْ حُصُولِ الْيُسْرِ،
أَوْ زَوَالِ الْعُسْرِ فِي الْمَعِيشَةِ).

[الأداب الشرعية لابن مفلح (١/ ١٤٠)]

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: (يخبر تعالى عن
تمام حكمته، وأن حكمته لا تقتضي أن كل من قال:
إنه مؤمنٌ، وادّعى لنفسه الإيمان، أن يبقوا في حالة
يسلمون فيها من الفتن والمحن، ولا يعرض لهم ما
يشوش عليهم إيمانهم وفروعه، فإنهم لو كان الأمر
كذلك، لم يتميز الصادق من الكاذب، والمحق من
المبطل، ولكن سنته وعادته في الأولين وفي هذه
الأمّة، أن يتتليهم بالسراء والضراء، والعسر واليسر،
والمشط والمكره، والغنى والفقر، وإدالة الأعداء
عليهم في بعض الأحيان، ومجاهدة الأعداء بالقول

والعمل، ونحو ذلك من الفتن، التي ترجع كلها إلى فتنة الشبهات المعارضة للعقيدة، والشهوات المعارضة للإرادة، فمن كان عند ورود الشبهات يثبت إيمانه ولا يتزلزل، ويدفعها بما معه من الحق، وعند ورود الشهوات الموجبة والداعية إلى المعاصي والذنوب، أو الصارفة عن ما أمر الله به ورسوله، يعمل بمقتضى الإيمان، ويجاهد شهوته، دل ذلك على صدق إيمانه وصحته.

ومن كان عند ورود الشبهات تؤثر في قلبه شكاً وريباً، وعند اعتراض الشهوات تصرفه إلى المعاصي أو تصدّفه عن الواجبات، دل ذلك على عدم صحة إيمانه وصدقه.

والناس في هذا المقام درجات لا يحصيها إلا الله، فمستقل ومستكثر، فنسأل الله تعالى أن يثبتنا بالقول

الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يثبت قلوبنا على دينه، فالابتلاء والامتحان للنفوس بمنزلة الكير، يخرج خبثها وطبيها) [تفسير السعدي (ص ٦٢٦)].

ومن هنا فيني أهيب بإخواني أن لا ينشغلوا بالقييل والقال، وأن يحسنوا الفعال، وأن لا يكونوا ممن ينشغلون عن أصل العلاج بما لا يفيد حالاً ولا مآلاً؛ فلا ننشغل بـ: من أين جاء الوباء؟ وبنظرية المؤامرة؟ بل علينا أن نعلم أنه من تقصيرنا، ومن ذنوبنا، وأنه من جنس الابتلاءات؛ فإن رجوعنا إلى الله تعالى من أعظم ما يرفع البلاء، ويدفع الوباء.



٦- درهم وقاية خيرٌ من قنطار علاج

وهذا مثل معروفٌ عند العرب، وهو من أقوى أنواع العلاجات الطبية النفسية، والبدنية؛ فإن من ترك الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعَرْضِهِ» [رواه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث النعمان بن بشير **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا**].

فعلينا أن نبتعد عن كل ما يوصل أو يؤدي إلى المرض، سواء كان ذلك بالخلطة، أو بالسفر، أو بالملامسة، أو بالمجالسة، ونحو ذلك، أو بأخذ الأطعمة المضرة، أو الأشربة السامة، كالخمر ونحوها.



وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ
وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ﴾ (١٨٩) [الآية من سورة البقرة].

قال العلامة السعدي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (ويستفاد من
إشارة الآية أنه ينبغي في كل أمر من الأمور، أن
يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب...، التي
بها يحصل المقصود أو بعضه، والمتعلم والمعلم ينبغي
أن يسلك أقرب طريق وأسهله، يحصل به مقصوده،
وهكذا كل من حاول أمراً من الأمور وأتاه من
أبوابه وثابر عليه، فلا بد أن يحصل له المقصود بعون
الملك المعبود) [تفسير السعدي (ص ٨٨)].

(قال ابن عقيل في الفنون: العقلاء يعلمون أن
الاحتراز لا يقدر في التوكل، وأن دقيق الحيل من

الأعداء، يُدفعُ بلطيف التحرز، والمبالغة في التحفظ)

[الأداب الشرعية (٢/ ٢٧٨)].

ومن هنا فينبغي علينا الاهتمام بـ: النظافة،
والاغتسال، والوضوء، والاستنشاق، والمبالغة فيه،
وغسل اليدين لا سيما عند الاستيقاظ من النوم،
وعند الملامسة، وترك المصافحة إذا اقتضت الحاجة،
والتحصين بالأدوية والأذكار.



٧- البحث عن الأدوية المتاحة المتاحة

قال الله تعالى عن ذي القرنين: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الآيتان من سورة الكهف].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: (أعطاه الله من الأسباب الموصلة له لما وصل إليه، ما به يستعين على قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران، وعمل بتلك الأسباب التي أعطاه الله إياها، أي: استعملها على وجهها، فليس كل من عنده شيء من الأسباب يسلكه، ولا كل أحد يكون قادرا على السبب، فإذا اجتمع القدرة على السبب الحقيقي والعمل به، حصل المقصود، وإن عدما أو أحدهما لم يحصل) [تفسير السعدي (ص ٤٨٥)].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»
[رواه البخاري].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: (وفي الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع، والعطش، والحر، والبرد بأضدادها؛ بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا، وأن تعطيلها يقدر في نفس التوكل، كما يقدر في الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل، فإن تركها عجزًا ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره

الدواء لكل وباء

في دينه ودنياه، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلاً، ولا توكله عجزاً).

[الطب النبوي له (ص ١٤)]



٨- عليكم بالشفائين

هناك أدوية عامة وهي نافعة لكل مرضٍ، يدرك ذلك الأطباء المتقدمون منهم والمتأخرون، وأما الأدوية الخاصة لكل مرض؛ فهذه لا يدركه إلا البعض من الأطباء، وعلى المرضى اتخاذ الأدوية العامة والخاصة، خصوصاً إذا لم تتعارض، وإلا فعليهم بالأدوية الخاصة التي يصفها الأطباء المختصون.

ومن الأدوية العامة: القرآن الكريم، وهو شفاء لكل داءٍ معنوي، أو حسي، نافع لكل مرض قلبي أو جسدي؛ وذلك لأنه كلام الله تعالى الذي خلق هذا البدن والنفس؛ فتلاوته بنية الرقية نافعة ولا ريب، قال الله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ

مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ [الآية من سورة الإسراء].

ومن الأدوية العامة: العسل قال الله تعالى:

﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [سورة النحل، من الآية ٦٩].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِالشُّفَائِينَ: العَسَلُ، وَالقُرْآنُ» [أخرجه الحاكم وهو صحيح].

قال ابن طولون رَحِمَهُ اللهُ: (قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عليكم بالشفايين العسل والقرآن»: فيه سرٌّ لطيفٌ أي لا يكتفي بالقرآن وحده ويُبطل السَّعيَ؛ بل يعمل بما أُمِرَ، وَيَسْعَى في الرزق كما قُدِّرَ، ويسأله المعونة والتوفيق لما يَسِّرُ، بمنزلة الفلاح الذي يحرث الأرض ويودعها البذر ثم يضرع إلى خالقه في دفع

العاهات، وإنزال القطر، ويستعمل بعد ذلك التوكل
عليه سبحانه في إتمام ما منه حذر، وَأُنذِرَ فِي جَلْبِ
الصَّحَّةِ، وُدْفَعِ الضَّرَرَ) [الطب النبوي له (ص ٢١١)].



٩- إياكم والتضجر

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۚ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۚ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۚ﴾ [الآيات من سورة المعارج]؛ فدلّت الآيات أن الجزع، والهلع، ليس من صفات المؤمنين، الذين هم يحافظون على صلواتهم؛ فالتضجر من قضاء الله تعالى وقدره، ليس من صفات المؤمنين؛ بل إنهم إذا أصابتهم الضراء رجعوا إلى أنفسهم، واتهموا أنفسهم بالتقصير، وعدم الأخذ بالأسباب، مع علمهم بحكمة الوهاب، ورحمة التواب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

ومن هنا فلا ينبغي أن نتضجر من المرض أو الوباء، وإنما نعمل بما يدفعه بالأسباب المتاحة، ولا نظهر تضجرًا ولا هلعًا، ونعلم أن ما يصيبنا

لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، قدر الله سابق، وقضاؤه لاحق، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وما علينا إلا الرجوع إلى الله تعالى ليعلمنا الأسباب، ويتجاوز عن تقصيرنا في جنبه وهو الكريم الوهاب.

(قال العلامة ابن الجوزي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: شَكْوَى الْمَرِيضِ مُخْرِجَةٌ مِنَ التَّوَكُّلِ وَقَدْ كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَنْ مَرِيضٍ؛ لِأَنَّهُ يَتَرَجَّمُ عَنِ الشَّكْوَى، وَذُكِرَ هَذَا النَّصُّ عَنْ أَحْمَدَ، وَقَالَ: فَأَمَّا وَصْفُ الْمَرِيضِ لِلطَّبِيبِ مَا يَجِدُهُ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ أَنْتَهَى كَلَامُهُ).

[الآداب الشرعية (٢/ ١٨٣)]

(قال ابن عقيل في الفنون: النعم أضياف، وقراها الشكر، والبلايا أضياف، وقراها الصبر، فاجتهد

أن ترحل الأضيافُ شاكرَةً حُسْنَ القرى، شاهدةً بما
تَسْمَعُ وَتَرَى) [الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ١٨٥)].

ومن هنا فإني أحث نفسي وإخواني إلى تسكين
الناس، وإبعادهم عن كل ما يخوفهم، أو يضجرهم
بالقدر المستطاع، وأن نسكنهم، ولا ندخل الهلع
عليهم، وأن نرغبهم فيما عند الله تعالى، وأن
لا نجزعهم ولا نؤيسهم من رحمة الله تعالى؛ فهو
سبحانه أرحم الراحمين.

وعلينا أن نبتعد عن الإشاعات والأكاذيب،
وعن نقل الأخبار من غير أهلها، وأن نسمع ما
يكون من المصادر الطبية الموثوقة، والمتحدثين
الرسميين من الحكومة.



١٠- البعد عن أرض الوباء

من أسباب الوقاية البعدُ عن أرض الوباء،
والعاقل لا يقرب من النار، ولا يدخل نفسه البحر
وهو لا يعرف السباحة، ولا يلقي بنفسه من الهاوية
ويرجو السلامة، وهذا الدين العظيم الذي فيه
الأخذ بالأسباب أمرنا بالبعد عن أرض الوباء.

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا
وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا».

[رواه البخاري ومسلم في صحيحهما]

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَدْ جَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأُمَّةِ فِي نَهْيِهِ عَنِ الدُّخُولِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي هُوَ - أي: الطاعون - بِهَا، وَنَهْيِهِ عَنِ الْخُرُوجِ

مِنْهَا بَعْدَ وَقُوعِهِ كَمَا لِ التَّحَرُّزِ مِنْهُ، فَإِنَّ فِي الدُّخُولِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي هُوَ بِهَا تَعَرُّضًا لِلْبَلَاءِ، وَمُوَافَاةً لَهُ فِي مَحَلِّ سُلْطَانِهِ، وَإِعَانَةً لِلْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ، وَهَذَا مُخَالَفٌ لِلشَّرْعِ وَالْعَقْلِ، بَلْ تَجَنُّبُ الدُّخُولِ إِلَى أَرْضِهِ مِنْ بَابِ الْحِمِيَّةِ الَّتِي أَرْشَدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَيْهَا، وَهِيَ حِمِيَّةٌ عَنِ الْأَمْكِنَةِ، وَالْأَهْوِيَّةِ الْمُؤْذِيَةِ.

وَأَمَّا نَهْيُهُ عَنِ الْخُرُوجِ مِنْ بَلَدِهِ، فَفِيهِ

مَعْنَيَانِ:

أَحَدُهُمَا: حَمَلُ النُّفُوسِ عَلَى الثِّقَةِ بِاللَّهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالصَّبْرِ عَلَى أَقْضِيَّتِهِ وَالرِّضَا بِهَا.

وَالثَّانِي: مَا قَالَهُ أَيْمَةُ الطَّبِّ: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُحْتَرِزٍ مِنَ الْوَبَاءِ أَنْ يُخْرِجَ عَنْ بَدَنِهِ الرُّطُوبَاتِ الْفَضْلِيَّةَ، وَيَقَلِّلَ الْغِذَاءَ وَيَمِيلَ إِلَى التَّدْبِيرِ الْمُجَفِّفِ

مِنْ كُلِّ وَجْهِ إِلَّا الرِّيَاضَةَ وَالْحَمَّامَ، فَإِنَّهُمَا مِمَّا يَجِبُ
 أَنْ يُحْذَرَا؛ لِأَنَّ الْبَدْنَ لَا يَخْلُو غَالِبًا مِنْ فَضْلِ
 رَدِيءٍ كَامِنٍ فِيهِ، فَتَثِيرُهُ الرِّيَاضَةُ وَالْحَمَّامُ، وَيَخْلِطَانِهِ
 بِالْكِيمُوسِ الْجَيِّدِ، وَذَلِكَ يَجْلِبُ عِلَّةً عَظِيمَةً بَلْ يَجِبُ
 عِنْدَ وَقُوعِ الطَّاعُونَ السُّكُونُ وَالِدَّعَةُ، وَتَسْكِينُ
 هَيْجَانِ الْأَخْلَاطِ، وَلَا يُمَكِّنُ الْخُرُوجُ مِنْ أَرْضِ
 الْوَبَاءِ وَالسَّفَرُ مِنْهَا إِلَّا بِحَرَكَةٍ شَدِيدَةٍ، وَهِيَ مُضِرَّةٌ
 جِدًّا. هَذَا كَلَامُ أَفْضَلِ الْأَطْبَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ، فَظَهَرَ
 الْمَعْنَى الطَّبِيبِيُّ مِنَ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، وَمَا فِيهِ مِنْ عِلَاجِ
 الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ وَصَلَاحِهِمَا...

وَفِي الْمَنَعِ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي قَدْ

وَقَعَ بِهَا عِدَّةُ حِكْمٍ:

أَحَدُهَا: تَجَنُّبُ الْأَسْبَابِ الْمُؤْذِيَةِ وَالْبُعْدُ مِنْهَا.

الثاني: الْأَخْذُ بِالْعَافِيَةِ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الْمَعَاشِ
وَالْمَعَادِ.

الثالث: أَنْ لَا يَسْتَنْشِقُوا الْهُوَاءَ الَّذِي قَدْ عَفِنَ
وَفَسَدَ فَيَمْرَضُونَ.

الرابع: أَنْ لَا يُجَاوِرُوا الْمَرْضَى الَّذِينَ قَدْ
مَرَضُوا بِذَلِكَ فَيَحْصُلُ لَهُمْ بِمُجَاوَرَتِهِمْ مِنْ جِنْسِ
أَمْرَاضِهِمْ).

[زاد المعاد (٤/٣٩-٤٠)]



١١ - فَرَمَنَ الْمَوْبِوءَ

جاء في الشرع الحكيم النهي عن الدخول إلى الأرض الموبوءة، والأماكن التي فيها الوباء أو الطاعون، وكذلك جاء النهي عن مقاربة الموبوتين، أو ملامستهم، وكل ذلك وقاية من الأمراض، وعلاجاً للأوبئة أن تتفشى؛ فعَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ فِي وَفْدِ ثَقِيفِ رَجُلٍ مَجْدُومٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ؛ فَارْجِعْ» [رواه مسلم في صحيحه].

وكذلك جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ».

[رواه البخاري ومسلم في صحيحهما]

فإذا كان لا يجوز لصاحب الماشية المريضة أن يورد ماشيته على الصحيحة؛ فكيف بدخول المريض على الصحيح بقصد إعدائه، أو إصابته بالمرض، أو العكس بدخول المعافي على المبتلى؛ فيمرض بسبب الوباء ونحوه؛ فالواجب الحذر من هذا وذاك.

وَيُرَوَى مَرْفُوعًا: «كَلِمَ الْمَجْدُومِ وَبَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَيْدٌ رُمِحَ أَوْ رُمِحِينَ» [أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد، وأخرجه ابن السني، وأبو نعيم في الطب، وضعفه، وهو حديث في سنده متروك]؛ فهذا وإن لم يثبت سنده، لكن الأطباء ينصحون به، لا سيما في وقت الوباء.

وينبغي اتباع الإرشادات الطبية، والتوجيهات المرعية، التي تصدر من ولاية الأمر؛ فإن نظر ولي الأمر أوسع من نظر غيره، وطاعتهم في هذه الأمور

أوجب وأكد؛ لما يترتب على ذلك من المصالح العامة والخاصة، وإن ترتب عليه شيء من إضاعة المال أو المصالح؛ فإن ذلك دون ما يترتب على طاعتهم من المصالح العظيمة، التي ترتبط بالبلاد والعباد، ولهذا قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن نَنزَعْنَهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ﴿٥٩﴾ [الآية من سورة النساء].

وكذلك هم أدرى بمصالح العباد والبلاد العامة والخاصة؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٨٣﴾ [الآية من سورة النساء].

الدواء لكل وباء

فإذا صدر الأمر من ولي الأمر بالسكون في البيوت، أو بلزوم القرار؛ فالواجب التزام أمرهم طاعة لله تعالى، وطاعة لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما جاء في حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «بَايَعَنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ».

[رواه البخاري في صحيحه]



١٢- الهواء النقي

إن الهواء النقي، مع الطعام الصحي، هما من أعظم أسباب الصحة البدنية، فالواجب علينا أن نهتم بالهواء النقي، كما نهتم بالمطعموم الصحي، ومما يدل على ذلك ما جاء في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
 أَنَّ نَاسًا مِنْ عُرَيْنَةَ اجْتَوَوْا الْمَدِينَةَ؛ «فَرَحَّصَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْتُوا إِبِلَ الصَّدَقَةِ، فَيَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا، وَأَبْوَاهَا» [متفق عليه].

ومعنى «اجتووا المدينة» أي: استوخموها، فأمرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يطلبوا هواءً ملائمًا لهم، وهو هواء البادية؛ فدل أن الهواء النقي نافع للمرضى، كما هو مُقَوِّمٌ للأصحاء.

قال ابن طولون **رَحِمَهُ اللهُ**: (وفي نهيه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**
عن القدوم عليه فائدتان:

إحداهما: لئلا يستنشقوا الهواء العفن الفاسد
فيمرضوا.

وثانيهما: لئلا يجاوروا المرض فتضاعف البلية
بالأميرين) [الطب النبوي له ص ٣٠٦].

وعن فَرَوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ الْمُرَادِيِّ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قَالَ: قُلْتُ:
يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَرْضًا عِنْدَنَا يُقَالُ لَهَا: أَرْضُ أَبِيْنَ، هِيَ
أَرْضُ رِيْفِنَا، وَمِيرَتِنَا، وَإِنَّهَا وَبِيَّةٌ - أَوْ قَالَ: إِنَّ بِهَا وَبَاءً
شَدِيدًا -؛ فَقَالَ: «دَعْمَا عَنكَ، فَإِنَّ الْقَرْفَ التَّلْفُ».

[رواه الإمام أحمد، وضعف محققه إسناده]

فالأمير في هذا الحديث بترك هذه الأرض؛ لأنها
كانت موبوءة، وزاد البيان بأن سبب التلف إنما هو

المقارنة والمقارفة؛ فكلما قارن الإنسان أرض الوباء كان أقرب لملاسته الوباء.

و(قال الخطابي: إن استصلاح الأهوية من أهون الأشياء على صحة الأبدان، وفساد الهوى من أضرها، وأسرعها إلى أسقام الأبدان عن الأطباء).
[الطب النبوي لابن طولون (ص ٤٤)]

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (إن فساد الهواء جزء من أجزاء السبب التام، والعلة الفاعلة للطاعون، فإن فساد جوهر الهواء الموجب لحدوث الوباء وفساده، يكون لاستحالة جوهره إلى الرداءة، لغلبة إحدى الكيفيات الرديئة عليه، كالعفونة، والتتن والسمية في أي وقت كان من أوقات السنة، وإن كان أكثر حدوثه في أواخر الصيف، وفي الخريف

غالباً لكثرة اجتماع الفضلات المرارية الحادة وغيرها في فصل الصيف، وعدم تحللها في آخره، وفي الخريف لبرد الجو، وردغة الأبخرة والفضلات التي كانت تتحلل في زمن الصيف، فتتحصّر، فتسخن، وتعفن، فتحدث الأمراض العفنة، ولا سيما إذا صادفت البدن مستعداً، قابلاً، رهلاً، قليل الحركة، كثير المواد، فهذا لا يكاد يفلت من العطب).

[الطب النبوي (ص ٣٣)]



١٣ - تغطية المشروبات والمأكولات،

والوقاية بالكمامات

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - رَفَعَهُ - قَالَ:
 «خَمَرُوا الْآنِيَةَ، وَأَوْكُوا الْأَسْقِيَةَ، وَأَجِيفُوا الْأَبْوَابَ
 وَاكْفِتُوا صَبْيَانَكُمْ عِنْدَ الْعِشَاءِ، فَإِنَّ لِلْجِنِّ انْتِشَارًا
 وَخَطْفَةً، وَأَطْفِتُوا الْمَصَابِيحَ عِنْدَ الرُّقَادِ، فَإِنَّ الضُّوَيْسِقَةَ
 رُبَّمَا اجْتَرَّتِ الضَّيْلَةَ فَأَحْرَقَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ».

[رواه البخاري في صحيحه]

وفي رواية قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 يَقُولُ: «غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ
 لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمْرُؤُا بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ
 سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وَكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ».

[رواه مسلم في صحيحه]



(قال الليث: الأعاجم يتقون تلك الليلة في السنة في
كانون الأول...) [الطب النبوي لابن طولون (ص ٢٢٣)].

فينبغي الوقاية، وذلك بحفظ وصون
المشروبات، والمأكولات، بل والأيدي، من الملامسة
المباشرة للوباء، أو أرضه، أو مظانه، وكذلك ينبغي
ترك المصافحة، وفي مثل هذا المقام ينبغي تبين أن
من لم يصافح فلا شيء عليه، وهو الأولى في حال
الأوبئة، لحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، أَحَدْنَا يَلْقَى صَدِيقَهُ أَيُنْحِنِي لَهُ؟ قَالَ:
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا». قَالَ: فَيَلْتَزِمُهُ،
وَيُقَبِّلُهُ؟ قَالَ: «لا». قَالَ: فَيُصَافِحُهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنْ
شَاءَ» [رواه الإمام أحمد في مسنده، وصححه الألباني].

فعلق المصافحة على المشيئة، وهذا فيه اختيار،
ويجب تركه إذا ترتب عليه ضررٌ حسي، أو معنوي.

١٤ - ختامه مسك

قال الله تعالى: ﴿ خِتْمُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ
 الْمُتَنَفِسُونَ ﴾ [٣٦] ﴿ [الآية من سورة المطففين]، وإنما ذكر
 شراب أهل الجنة بأنها مختومة بخواتيم من مسك؛
 فهذا يدل على فضل المسك، وعِظَم مكانته، وجلال
 قدره ومنفعته.

وجاء في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَطْيَبُ الطَّيِّبِ الْمِسْكُ»
 [رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح].

(قال الذهبي: هو حارٌّ يابسٌ يقوي القلب، وهو
 أشرف الطيب، وجيّد للمبرودين، يُقَوِّي الأعضاء

الدواء لكل وباء

الباطنة، شُرْبًا وشمًّا، جيّد للغشي والحفقان، ويُفشِ
الرِّيَّاحَ، وَيُبْطِلُ عمَلَ السُّمومِ.

وكان **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يتطيب به، وطيبته به عائشة
عند إحرامه وحله، وأمر الحائض عند الطهر أن
تتبع به أثر الدم، ويصلح جوهر الهواء، لا سيما
في الوباء...، وخياره: الخراساني، ثم الصيني، ثم
الهندي) [الطب النبوي لابن طولون (ص ٢٣٠)].



١٥ - الطاعون شهادة

الموت أمرٌ حتمٌ لا مفرَّ منه، والعاقل من يموت وهو ينال الكرامة عند الله تعالى، ولهذا قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) [الآية من سورة آل عمران]، أي: لا يأتيكم الموت إلا وأنتم على حال التقوى والصلاح، فتموتوا على ذلك؛ فالآية فيها الحث على دوام الأعمال الصالحة.

ويتمنى المرء المسلم أن يموت شهيداً يدافع عن الإسلام، وعن المسلمين، وعن أرض الإسلام وديارهم، إذا أمكن ذلك، وقد يكون في زمان يكون فيه الصلح، ولا يتمكن من نيل الشهادة؛ فبين النبي

الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هناك أمواتًا ينالون الشهادة،
ومن جملتهم الذين يصابون بالطاعون أو الوباء
فيموتون، وهم صابرون محتسبون، غير متضجرين،
ولا نادمين، كما قال أنسُ بنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطَّاعُونَ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»
[رواه البخاري ومسلم].

وَعَنْ شُرْحَيْلِ بْنِ شُفْعَةَ، قَالَ: (وَقَعَ الطَّاعُونُ،
فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّهُ رَجَسٌ، فَتَفَرَّقُوا
عَنْهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ شُرْحَيْلِ بْنِ حَسَنَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ:
لَقَدْ صَحَبْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَمَرْتُ وَأَضَلُّ
مِنْ بَعِيرِ أَهْلِي، إِنَّهُ دَعْوَةٌ نَبِيِّكُمْ، وَرَحْمَةٌ رَبِّكُمْ، وَمَوْتُ
الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، فَاجْتَمِعُوا لَهُ، وَلَا تَفَرَّقُوا عَنْهُ؛

فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ؛ فَقَالَ: صَدَقَ [رواه الإمام أحمد في مسنده، وإسناده حسن].

وَعَنْ أَبِي قِلَابَةَ، أَنَّ الطَّاعُونَ وَقَعَ بِالشَّامِ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ هَذَا الرَّجَزَ قَدْ وَقَعَ؛ فَفِرُّوا مِنْهُ فِي الشُّعَابِ، وَالْأَوْدِيَةِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا فَلَمْ يُصَدِّقْهُ بِالَّذِي قَالَ؛ فَقَالَ: بَلْ هُوَ شَهَادَةٌ، وَرَحْمَةٌ، وَدَعْوَةٌ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ أَعْطِ مُعَاذًا وَأَهْلَهُ نَصِيحَهُمْ مِنْ رَحْمَتِكَ. قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: فَعَرَفْتُ الشَّهَادَةَ، وَعَرَفْتُ الرَّحْمَةَ، وَلَمْ أَدْرِ مَا دَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ، حَتَّى أُنْبِتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ يُصَلِّي إِذْ قَالَ فِي دُعَائِهِ: «فَحُمِّي إِذَا، أَوْ طَاعُونَ، فَحُمِّي إِذَا، أَوْ طَاعُونَ». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ لَهُ إِنْسَانٌ مِنْ أَهْلِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ سَمِعْتُكَ اللَّيْلَةَ

تَدْعُو بِدُعَاءٍ. قَالَ: «وَسَمِعْتُهُ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِسَنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَيَسْتَبِيحَهُمْ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُلْبَسَهُمْ شَيْعًا، وَيُنْذِقَ بَعْضَهُمْ بِأَسِّ بَعْضِ فَأَبَى عَلَيَّ، أَوْ قَالَ فَمَنْعَنِهَا، فَقُلْتُ: حُمَى إِذَا، أَوْ طَاعُونًا، حُمَى إِذَا، أَوْ طَاعُونًا، حُمَى إِذَا أَوْ طَاعُونًا» ثلاث مرّات [رواه الإمام أحمد في مسنده، وإسناده صحيح، ومرسله شاهد].

والطاعون - من حيث اللغة - : نوع من الوباء، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (ولما كان الطاعون يكثر في الوباء، وفي البلاد الوبيئة، عبر عنه بالوباء، كما قال الخليل: الوباء: الطاعون. وقيل: هو كل مرض يعم، والتحقيق أن بين الوباء والطاعون عمومًا وخصوصًا،

فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعونا، وكذلك الأمراض العامة أعم من الطاعون، فإنه واحد منها، والطواعين خراجات وقروح وأورام رديئة حادثة في المواضع المتقدم ذكرها.

قلت: هذه القروح، والأورام، والجراحات، هي آثار الطاعون، وليست نفسه، ولكن الأطباء لما لم تدرك منه إلا الأثر الظاهر، جعلوه نفس الطاعون.

والطاعون يعبر به عن ثلاثة أمور:

أحدها: هذا الأثر الظاهر، وهو الذي ذكره الأطباء.

والثاني: الموت الحادث عنه، وهو المراد بالحديث

الصحيح في قوله: «الطاعون شهادة لكل مسلم».



والثالث: السبب الفاعل لهذا الداء، وقد ورد في الحديث الصحيح أنه: «بَقِيَّةُ رِجْزٍ، أَوْ عَذَابٍ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ» [رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح]، وورد فيه أنه: «وَحَزْرُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ» [رواه الإمام أحمد في مسنده، وهو صحيح]، وجاء أنه: «دعوة نبي».

وهذه العلل والأسباب ليس عند الأطباء ما يدفعها، كما ليس عندهم ما يدل عليها، والرسول تخبر بالأمور الغائبة، وهذه الآثار التي أدركوها من أمر الطاعون ليس معهم ما ينفي أن تكون بتوسط الأرواح، فإن تأثير الأرواح في الطبيعة وأمراضها وهلاكها أمر لا ينكره إلا من هو أجهل الناس بالأرواح وتأثيراتها، وانفعال الأجسام وطبائعها

عنها، والله سبحانه قد يجعل لهذه الأرواح تصرفاً في أجسام بني آدم عند حدوث الوباء، وفساد الهواء، كما يجعل لها تصرفاً عند بعض المواد الرديئة التي تحدث للنفوس هيئة رديئة، ولا سيما عند هيجان الدم، والمرّة السوداء، وعند هيجان المنى، فإن الأرواح الشيطانية تتمكن من فعلها بصاحب هذه العوارض ما لا تتمكن من غيره، ما لم يدفعها دافع أقوى من هذه الأسباب من الذكر، والدعاء، والابتهاال والتضرع، والصدقة، وقراءة القرآن، فإنه يستنزل بذلك من الأرواح الملكية ما يقهر هذه الأرواح الخبيثة، ويبطل شرها ويدفع تأثيرها، وقد جربنا نحن وغيرنا هذا مراراً لا يحصيها إلا الله، ورأينا لاستئزال هذه الأرواح الطيبة واستجلاب قربها

الدواء لكل وباء

تأثيرًا عظيمًا في تقوية الطبيعة، ودفع المواد الرديئة، وهذا يكون قبل استحكامها وتمكنها، ولا يكاد ينخرم، فمن وفقه الله، بادر عند إحساسه بأسباب الشر إلى هذه الأسباب التي تدفعها عنه، وهي له من أنفع الدواء، وإذا أراد الله **عَزَّوَجَلَّ** إنفاذ قضائه وقدره، أغفل قلب العبد عن معرفتها وتصورها وإرادتها، فلا يشعر بها، ولا يريد لها؛ ليقضي الله فيه أمرًا كان مفعولاً [الطب النبوي له (ص ٣١-٣٢)].



١٦ - الصبر في الوباء والطاعون

قال الله تعالى: ﴿ وَلَنْبَلُوتَكُمْ إِشْيَاءَ مِّنَ الْخَوْفِ
وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ
الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ
وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ .

[الآيات من سورة البقرة]

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون فأخبرها
نبي الله صلى الله عليه وسلم: «أنه كان عذاباً، يبعثه الله على
من يشاء؛ فجعله الله رحمة للمؤمنين؛ فليس من
عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً، يعلم أنه

لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلَ أَجْرِ
الشَّهِيدِ» [رواه البخاري في صحيحه].

فالصبر الصبر عباد الله؛ فإن البلاء زائلٌ، والإيمان
باقٍ، والمواقف الإيمانية هي التي تميز الصابرين من
العاجزين، من الجزعين، من الضجرين؛ واعلم أنه
ما من بلاء إلا وقد ذهب، ولم يبق إلا من كان على
مثل من ذهب، فبان معدنه من ذهبٍ، وآخرون
تشبهوا بهم فكانوا نحاسًا فخرسوا وصاروا هلكى
مع ما أصابهم من الجرب.

فعلينا أن نكثر من الحوقلة: لا حول ولا قوة إلا
بالله، وأن نكثر من التسبيح، والتحميد، والتكبير؛
فإن ذلك مما ندفع به البلاء والوباء، وأن نكثر من
الاسترجاع، وهو: إنا لله وإنا إليه راجعون.

١٧- الدعاء... الدعاء

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [الآية من سورة غافر].

قال البخاري **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (باب من دعا برفع الوباء والحمى) وبهذا الباب ختم كتاب المرضى، ثم أورد فيه حديث عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** أَنَّهَا قَالَتْ لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ، قَالَتْ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا؛ فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، كَيْفَ تَجِدُكَ؟ وَيَا بِلَالُ، كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَتْ: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَى يَقُولُ: كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ. وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أُقْلِعَ عَنْهُ يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ؛ فَيَقُولُ: أَلَا لَيْتَ

الدواء لكل وباء

شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةَ بَوَادٍ وَحَوِيٍّ إِذْ خِرُّ وَجَلِيلٌ، وَهَلْ
أَرَدَنُ يَوْمًا مِيَاهَ مِجَنَّةٍ وَهَلْ تَبْدُونُ لِي شَامَةً وَطَفِيلٌ.

قَالَتْ عَائِشَةُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ؛ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ؛
كَحُبِّنَا مَكَّةَ، أَوْ أَشَدَّ، وَصَحَّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا،
وَمُدَّهَا، وَانْقُلْ حُمَاهَا؛ فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ».

وهذا فيه دلالة ظاهرة على أهمية الدعاء لرفع
الوباء خصوصاً، وأهمية الدعاء للبلاد والعباد
عموماً، قال إبراهيم الخليل **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿رَبِّ اجْعَلْ
هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ، مِنْ الثَّمَرَاتِ﴾ [سورة البقرة،
من الآية ١٢٦]؛ فالدعاء من أعظم الأسباب الشرعية
الدافعة للبلاء والوباء، والجالبة للخيرات والنماء.



١٨ - الفضل وحسن الظن بالله تعالى

قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ١٧٢ ﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ١٧٣ ﴾ .

[الآيتان من سورة آل عمران]

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طَيْرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَالُ الصَّالِحُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ» [رواه البخاري في صحيحه].

فينبغي على كل مسلم أن يعلم أن المرض لا ينتقل بنفسه، وإنما ينتقل بأمر الله تعالى أولاً، ثم بالأَسباب

الكونية التي جعلها الله تعالى، فينبغي تعلق القلب بالله تعالى، وأنه لا يجوز التطير والتشاؤم؛ فإن الأمور بيد الله تعالى، وينبغي أن نحسن الظن بالله تعالى، وأن نكون متفائلين، محسنين الظن؛ فهو كاشف كل بلوى، وسامع كل نجوى.

وفي الختام أقول: اللهم يا سامع الأصوات،
ويا مجيب الدعوات، ويا مزيل العثرات، ويا راحم
العبرات، ويا قيوم الأرض والسموات، إنا نحسن
الظن بك، نعظم الرجاء في رحمتك، فهب لنا من
لدىك رحمة، إنك أنت الغني الكريم، وارفع عنا
مقتك وغضبك، ولا تؤاخذنا بذنوبنا، ولا بما
فعل السفهاء منا، وارفع عن البلاد والعباد البلاء
والوباء، يا أرحم الراحمين، ويا أكرم الأكرمين،

لا نخيب وأنت رجائونا، ولا نموت إلا ونحن
نحسن الظن بك يا ربنا، لك الحمد حتى ترضى،
ولك الحمد كما تحب يا ربنا، والحمد لله رب العالمين،
والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين.

كتبه الفقير إلى عفوريه الباري

د. محمد هشام مرطاهري

دولة الكويت - حرسها الله وصانها

يوم الأحد ٢٠/٧/١٤٤١هـ

الموافق ١٥/٠٣/٢٠٢٠

المحتويات

- المقدمة ٣
- ١- التوكل على الله ٥
- ٢- تقوى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ١٠
- ٣- المحافظة على الصلاة ١٣
- ٤- التوبة والإكثار من الاستغفار ١٤
- ٥- الابتلاء سنة ١٦
- ٦- درهم وقاية خيرٌ من قنطار علاج ٢٠
- ٧- البحث عن الأدوية المتاحة المباحة ٢٣
- ٨- عليكم بالشفائين ٢٦
- ٩- إياكم والتضجر ٢٩

- ١٠- البعد عن أرض الوباء..... ٣٢
- ١١- فِرّ من الموبوء..... ٣٦
- ١٢- الهواء النقي..... ٤٠
- ١٣- تغطية المشروبات والمأكولات، والوقاية
بالكمادات..... ٤٤
- ١٤- ختامه مسك..... ٤٦
- ١٥- الطاعون شهادة..... ٤٨
- ١٦- الصبر في الوباء والطاعون..... ٥٦
- ١٧- الدعاء... الدعاء..... ٥٨
- ١٨- الفأل وحسن الظن بالله تعالى..... ٥٦